

البنية السردية والهوية الذاتية في رواية (جنوبي) للروائي رمضان الرواشدة

The Narrative Structure & Personal Identity in Ramadan Rawashdeh'S Novel "Janoubi" (From the South)

Sawsan Ahmad Nabresi

PhD student \ An-Najah National University\ Palestine
sawsannabresi@hotmail.com

سوسن أحمد نابريسي

طالبة دكتوراة / جامعة النجاح الوطنية/ فلسطين

Nader Joma Kasem

Associate professor\ An-Najah National University\ Palestine
nader.Kasem@najah.edu

نادر جمعة قاسم

أستاذ مشارك/ جامعة النجاح الوطنية/ فلسطين

Received: 21/ 8/ 2022, Accepted: 9/ 11/ 2022.

DOI: 10.33977/0507-000-062-005

https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

تاريخ الاستلام: 21/ 8/ 2022م، تاريخ القبول: 9/ 11/ 2022م.

E-ISSN: 2616-9843

P-ISSN: 2616-9835

المُلخَص

والسلطة، تظهر من خلال التحولات في حياة البطل «جنوبي» إذ تفتح الرواية آفاق القارئ على شخصية قيادية حرة مثقفة، صاحب مبدأ، معارضا معارضة واضحة للسلطة ونظامها. ويعرض عرضاً موسعاً لموقفه من قضايا الإصلاح والديمقراطية، ويسلط الضوء على الحملات التي استهدفته، وانتهت بسجنه غير مرة، تحت وطأة حياة اجتماعية مكافحة، ورغم ذلك لم يستسلم البطل المثقف، بل يسعى إلى تغيير هذا الحال؛ ويظهر ذلك من خلال نمو الشخصيات وسعيها وتطلعها لمستقبل أفضل، لكن الروائي يفاجئنا في النهاية بانتماؤه للسلطة الحاكمة.

وقد أورد الروائي ذلك ضمن مسار سردي معقد إلى حد ما، يُخيل للقارئ وهو يقرأ عبر الفصول الأربعة، أنه يقرأ مجموعة قصصية، قد تكون العلاقة بينها واهية، ولكن بإعادة القراءة يعثر على الرابط الذي يجمع بين الفصول، وبذلك يعثر على الحلقة التي تجمع السلسلة لتكون لحمة واحدة.

هدف الدراسة وأسئلتها

سعت الدراسة للكشف عن البنية السردية في الرواية، ومن هنا فقد انطلقت للإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. كيفية توظيف الروائي للعناصر السردية؛ الشخصيات والزمن والمكان.

2. هل وفق الروائي في توظيف تقنيات السرد الحديثة؟

3. كيف جاءت صيغ السرد في هذه الرواية؟

وبعد قراءة الرواية انتهت الباحثة إلى أن كونها سيرة روائية، فقد تطرق إلى ذهنها الأسئلة الآتية:

◀ ما الذي يريد أن يقوله الروائي عن نفسه خفية عبر السرد، وعبر ما يروييه من خلال الشخصيات؟

◀ ما الذي يقوله الرواية عن أنفسهم، في خضم صراعاتهم وعلاقاتهم مع بعضهم بعضاً؟

◀ ما الرؤية السردية التي تنطوي عليها الرواية إزاء الوجود والعالم؟

وقد انتظمت الدراسة في أربعة محاور وخاتمة، تناول المحور الأول بعقبات الرواية، حيث وقف على العقبة البصرية واللغوية، والإهداء وصفحة الغلاف الرابعة. وتوقف المحور الثاني عند بنيته الزمان والمكان، وتحدث الثالث عن الشخصيات في الرواية، واختص الرابع بالحديث عن الراوي والهوية السردية.

الدراسات السابقة

عبادي حسن (2020/07/28): قراءة في رواية «جنوبي» للكاتب رمضان الرواشدة، دنيا الوطن، عرض فيها نوع العمل الأدبي، والفترة الزمنية التي تحدثت عنها الرواية، والأمكنة التي تضمنتها الرواية، وأشار أنه يطالع سيرة روائية للروائي ذاته.

السوايعر إبراهيم، (01 /12/ 2019): «جنوبي».. رواية جديدة للرواشدة تقرأ التحول السياسي، عمون، أشار أن الرواية صدرت عن دار الشروق، ولفت أن الروائي بنى عمله الروائي على شكل لوحات وتأثيرات لسيرة ذاتية، وذكر أن الروائي سلط الضوء على ستينيات

تعمد الدراسة إلى قراءة البنية السردية في رواية «جنوبي» عند الروائي الأردني رمضان الرواشدة، والكشف عن عناصر البناء السردية، وأبرز مكوناته التي وظفها الروائي؟

وللوصول إلى ذلك اتبعت الدراسة المنهج التحليلي. وقد جاءت الدراسة في مقدمة تناولت به الحديث عن العمل الروائي، وهدف الدراسة وأسئلتها، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة وأهميتها. وتأسس قدم نبذة عن حياة الروائي، وروايته «جنوبي»، وأربعة محاور: فقد تناول المحور الأول: العتبات النصية: العنوان، والإهداء وصفحة الغلاف الرابعة. وغطى المحور الثاني: بنية الزمن من حيث: الترتيب الزمني، والمدة الزمنية، والاسترجاع والاستباق. وبنية المكان وتضمنت فضاء الأمكنة المغلقة كالبيت والسجن، وفضاء الأمكنة المفتوحة كالجامعة، ومدينة عمان كونها فضاء الملاذ والمواطنة ونسيج الشخصية العمانية، ومدينة إربد كونها مدينة الحلم. وتضمن المحور الثالث الشخصية الروائية. واختص المحور الرابع: بالراوي والهوية السردية، وانتهت بخاتمة وذيلت بإيجاز لأهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: البنية السردية، الهوية الذاتية، رواية، جنوبي.

Abstract

This study is intended to highlight the narrative structure in the novel "Janoubi", written by Ramadan Rawashdeh, and explore its elements & most prominent components adopted by the novelist.

To achieve this goal, the researcher followed the analytical approach. This study consists of an introduction, which has to do with the narrative work, the study's aim, questions & vitality, literature review and methodology. Followed by a preface dealing with the writer's biography and his novel "Janoubi" (From the South). The study was divided into 4 themes: 1. Narrative thresholds, the title, dedication and cover page. 2. Time structure pertaining chronology, duration of time, retrieval & anticipation, place structure which consist of closed space such as the house & prison, in addition to open space like the university, Amman city as space of refuge & citizenship, the fabric of Ammani characteristic, and Irbid as the dream city. 3. The narrative character 4. The writer & narrative identity. Finally, the study presents a conclusion with a summary of outcomes were addressed.

Keywords: narrative structure, personal identity, novel, from the south.

المقدمة

تعالج رواية «جنوبي» قضية سياسية شائكة، قضية المثقف

2005. وحظي بوسام الثقافة والعلوم والفنون "مستوى الإبداع" الفلسطيني" والذي تمّ منحه من قبل الرئيس الفلسطيني محمود عباس عام 2019.

مؤلفاته الأدبية

● الروايات

- «من حياة رجل فاقد الذاكرة» أو «الحمراوي»، صدرت عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع_ القاهرة، عام 1992، وقد فازت بجائزة نجيب محفوظ لأفضل رواية عربية عام 1994.

- «أغنية الرعاة»، وقد صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمّان، عام 1998.

- «النهر لن يفصلني عنك»، وقد صدرت عن دار أزمنا للنشر والتوزيع، عمّان، عام 2006.

- «جنوبي» وقد صدرت عن دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، عام 2019.

- «المطهران» وقد صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت، عام 2022.

● القصص

- «انتفاضة وقصص أخرى»، وقد صدرت عن دار الكرمل، عمّان، عام 1989.

- «تلك الليلة»، وقد صدرت عن دار الينابيع، عمّان، عام 1995.

رواية «جنوبي»

صدرت عن دار الشروق عام 2019 ألفين وتسعة عشر رواية للروائي الأردني رمضان الرواشدة بطبعتها الأولى بعنوان «جنوبي»، فقد سرد رمضان الرواشدة عبر ثلاثة وتسعين صفحة قصة شاب يدعى «جنوبي بن سمعان» تنقل مع عائلته أكثر من مرة، وعرض مراحلته الدراسية وأثرها في حياته، ونزاهته الصحفية، ووقف على محطات من حياته الاجتماعية والسياسية والحزبية، وأبان عن ردة فعل المجتمع من حوله إزاء هذه الأحزاب والأحداث، وسلط الضوء على تجربة مشاركته في الانتخابات النيابية وخروجه من هذه المرحلة بدروس جمة، وكيف مرّ بالعديد من الأحداث والتحوّلات والمنعطفات التي عصفت به لينتقل من مثقف يساري معارض مطاردي إلى صوفي موالٍ للسلطة.

المحور الأول: عتبات الرواية

صفحة الغلاف

يطالعنا الغلاف في رواية رمضان الرواشدة «جنوبي» بطبعتها الأولى وعاءً دلاليًا، وذلك من خلال استغراق صورة المكان نصف صفحته؛ حيث تكتسح صورة طريق وبيت وسط الصفحة، يعلوها اسم الرواية - ويتصدر الصفحة اسم الروائي باللغتين العربية والإنجليزية، وجاء باللون الأسود، هل لشدّ الانتباه؟ أم لرمزية ما! وبالتدقيق في ألوان المؤلف في صفحة الغلاف نلاحظ أنه يمزج بين الأصفر والأسود في صورة تشكيلية، فماذا يضمن؟ وماذا عساه يريد أن يبوح ولكن بصمت! هل الأصفر دلالة على الحرية والثورة التي

القرن الماضي وسبعينياته وثمانينياته، وذكر النقطة التي انطلقت منها الرواية وهي؛ حي الهاشمي، كما أنه تحدث عن التقنية الروائية واللغة.

ومن الجدير ذكره أن الدراسات السابقة مقالات نشرت عبر مواقع إلكترونية، تضمّنت التعريف بالمؤلف والمؤلف على السواء، ولكن الدراسة الحالية، هي دراسة متخصصة، فقد صالت وجالت في البنية السردية للمؤلف وعمله موضع الدراسة.

منهج الدراسة وأهميتها

اتّبعَت الدراسة المنهج التحليلي في رصد البنية السردية في الرواية. وتكمن أهميتها كونها تتناول سيرة رواية حديثة، إذ بعد البحث والتدقيق والفحص لم أجد أحدًا من الباحثين قد تناولها ببحث قدّم فيه البنية السردية، وعناصرها الفنية.

تأسيس

«الروائي «رمضان الرواشدة»

كاتب وصحفي أردني، ولد في عمان، عام 1964، حصل على شهادة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة اليرموك عام 1988، وحصل على شهادة الدبلوم في الكتابة الصحفية المتقدمة من معهد تومسون في جامعة كاردف، المملكة المتحدة عام 2000. تولّى عدة أعمال، فقد عمل مترجمًا ومحررًا في جريدة الشعب، وكذلك كاتبًا صحفيًا في جريدة الرأي الأردنية، ومراسلًا لإذاعة الشرق في باريس، ومراسلًا لجريدة المستقبل اللبنانية، قبل عمله مستشارًا إعلاميًا لرئيس الوزراء، وانتقل بعد ذلك ليعمل منسقًا للعلاقات العامة في مكتب رئيس الديوان الملكي الهاشمي. وتولّى بعد ذلك العمل مديرًا عامًا لوكالة الأنباء الأردنية "بترا". وفي عام 2012، عين مجلس الوزراء الأردني الرواشدة مديرًا عامًا للتلفزيون الأردني. وقد انتخبته الجمعية العامة لاتحاد إذاعات الدول العربية والتي انعقدت بالكويت نائبًا أول لرئيس اتحاد إذاعات الدول العربية مدة عامين. وفي عام 2018، عين الاتحاد العام للمنتجين العرب الرواشدة رئيسًا لمهرجان القاهرة للتلفزيون والبيت الفضائي، وذلك ضمن فعاليات مونديال القاهرة للإعلام العربي بناءً على خبرته في مجال التلفزيون والبيت الفضائي.

شغل الرواشدة وما يزال العديد من العضويات، فهو يمثل عضو مجلس إدارة جائزة الصحافة العربية، "نادي دبي للصحافة"، وعضو نقابة الصحفيين الأردنيين، وعضو رابطة الكتاب الأردنيين، وعضو اتحاد الكتاب العرب أيضًا. وعضو اللجنة العليا لمهرجان الأردن للإعلام العربي، ورئيس اللجنة العليا لمهرجان الأغنية الوطنية الأردنية، وعضو مؤسس في الجمعية الأردنية لحقوق الإنسان، وعضو مؤسس في الهيئة العربية للتواصل الحضاري "بيت الأنباط"، وعضو مؤسس في تحالف "الحركة العالمية للديمقراطية" إعلان نيودلهي.

ونال الرواشدة العديد من الجوائز والأوسمة، فقد حاز على جائزة نجيب محفوظ للرواية العربية، عن رواية "الحمراوي"، 1994، وجائزة الحسين للإبداع الصحفي، عام 2021، وفاز المسلسل الإذاعي المقتبس من رواية "الحمراوي" بجائزة أفضل نص وإخراج في مهرجان الإذاعات العربية الذي أقيم في تونس عام

استطاع من خلال السرد أن يحقق للعنوان وظيفته المبتغاة، من خلال ارتكازه على عنصر المكان في اختيار التسمية، حيث ينقل القارئ ضمن مختلف التراكم اللغوية إلى الجنوب، هل نستطيع القول إن العنوان كان أيقونة دلالية توحى بأن الرواية رحلة بدأت من الجنوب، في جميع أبعاده وحيثياته، من عالم إلى عالم، من واقع إلى واقع، من نظم وعادات وطقوس إلى أخرى، ليحقق وظيفته الجاذبة الإثارية، وذلك كونه يسعى «لاستجلاب اهتمام القارئ، أو الجمهور المستهدف، من خلال تبئير انتباهه» (الإدرسي، ص 68)، وإغرائية كونه «يدفع بفضول القارئ للكشف عن غموضه وغرابته» (بلعابد، 2008، ص 86)، إذن، فمن الواضح جداً أن اعتماد العنصر المكاني في العنوان لم يأت اعتباراً بل قصد إليه الروائي، لما له من شأن في توجيه الأحداث وتعمدها، وبالتالي لقد جاء منسجماً مع الدال البصري.

الإهداء

أهدى الروائي رمضان الرواشدة الرواية لعائلته ولحزبه، فمن المتعارف عليه الإهداء للعائلة والأهل، فالقارئ المدقق يقف عند لفظة الحزب، ويدفعه الفضول لمعرفة الحزب الذي ينتمي إليه؟ يقول:

«إلى عائلتي الصغيرة وحزبي الذي
أتمرس به،
إلى سهاد التي صبرت عليّ،
وإلى أوس الرائع،
وإلى نسمة الجميلة،
أهدي هذه الرواية.»

وبعد قراءة الرواية تتساءل الباحثة هل هو بإهدائه يرضي ذاته المعارضة؟ أم يستجدي الحزب الديمقراطي لإرضائه!

صفحة الغلاف الرابعة

يطالعنا الروائي عقب الإهداء بعقبة متينة _ صفحة الغلاف الرابعة _ متضمنة ثلاثة أقوال: أولاً يستحضر قول الشاعر اللبناني جبران خليل جبران في قصيدته المواكب: «وأكثر الناس آلات تحركها أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر»، هل يريد الروائي القول إن الإنسان مسير في حركاته واختياراته؟ فيتساءل القارئ إلى ماذا يهدف؟

- وأتبعه بقول أبي حيان التوحيدي: «أغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه، وأبعد البُعداء من كان بعيداً في محل قُربه، سره علن، وخوفه وطن». فهل يرى الروائي أن هذا القول يمثله؟ هل باستحضاره يريد أن يقول ذلك عن ذاته؟ عندئذ يستنكر الروائي غربته وهو ربوع الوطن.

- أما القول الثالث فكان قول الأب سمعان

«يا جنوبي يا بني
ولدت غريباً
وتعيش غريباً
وستموت غريباً
ولكنك ستكون مع الرب
في ملكوت السموات»

الغربة مرة ثانية، والقارئ المتمعن تثير هذه الأقوال فضوله،

استحوذت على شبابه؟ وهل السواد عكس ذلك!

وهل العيش في الريف ما زال طيفاً يداعبه، لنجد صورة ريفية تهمين على غلافه! ولكن ماذا يوارى المؤلف بالصور الخريفية! هل هي دال رمزي لانقضاء عهد شبابه وثوراته!

وفي حقيقة الأمر إن هذا الترتيب وهذه الصورة بألوانها تجذب القراء، ويترك في ذهن من تقع عيناه على الرواية، متسائلاً أين هذه الصورة؟ أين هذا المكان؟ أين تؤدي هذه الطريق؟ ولم الطريق جاءت على معطف!

من هنا ندرك مدى أهمية هذا الحدث الفني في بناء معمار الرواية، كونه جوهر العمل وأساسه، الأمر الذي يتيح للقارئ نظرة استشرافية قبل ولوجه في قراءة النص، وذلك إيماناً من الكاتب بأهمية الأيقونة، وتزداد أهميتها وتؤدي وظيفتها إذا كانت صورة بصرية، فالصورة بمختلف أنماطها ومستوياتها في حياة الإنسان، صارت الوسيلة المفضلة، بل والمهيمنة في أشكال التعبير والتواصل، وطرائق إقناع الآخر، كونها تجمع في آن واحد، وعلى نحو بليغ بين الجمال والإفادة (الإدرسي، 2015، ص 72)، وبذلك يمكنني القول إن صفحة الغلاف في رواية «جنوبي» ليست زخرفاً وتزييناً، بل ارتبطت بالنص ارتباطاً عضوياً، وانطوت على قيمة دلالية. والسؤال هنا هل التقت الصورة البصرية مع الصورة اللغوية: أي العنوان؟

صنّف الروائي والناشر العمل الأدبي، كما يتّضح من صفحة الغلاف على أنه «رواية»، ولكن بعد القراءة يخلص القارئ إلى أن العمل سيرة روائية، سردية أو نص سردي مفتوح تنقصه الحكمة الروائية. فيتساءل: هل جاء ذلك لمدعاة تسويقية؟

العنوان

العنوان أهم المحطات الدلالية التي يسلمنا إياها الروائي، ف جاء العنوان مفرداً «جنوبي»، ونلاحظ أنه من البداية يجاهر بالدلالة اللغوية المرتكزة على عنصر المكان في عمله الفني. وقد جاء العنوان جملة اسمية غير متكاملة الأركان، فحذف المبتدأ ودل عليه الخبر، فالتقدير «هو جنوبي»، فالروائي أراد أن يقدم لنا مختصراً لما ستقدمه الرواية من خلال العنوان. الأمر الذي يمنح القارئ إمكانية التصور شارحاً في طرح التساؤلات: ما معنى «جنوبي»، ومن هو الجنوبي؟ ولم الجنوب؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي تتوارد إلى ذهن متصفح الرواية، وقارئها، ويقوي عنصر التشويق رغبة القارئ في البحث ضمن زوايا النص المختلفة عن دلالاته.

ومن الملاحظ التركيز في العنوان على المكان بوصفه عنصراً فضائياً أيضاً، حيث «جنوبي»، جملة تحتوي على دال ومعناه، وتشير إلى فضاء مكاني. وقد يتبادر إلى ذهن القارئ أن الروائي متأثر بالشاعر المصري أمل نقل وقصيدته «الجنوبي»، وبعد القراءة يخلص إلى أن الجنوبي نسبة إلى بلده؛ معان الجنوبية، ويقول ذلك البطل صراحة «بلدتي الجنوبية التي منها خرجت» (جنوبي: ص 79)، وفي حقيقة الأمر ما أدهش الباحثة أن البطل ولد في إربد وعاش بها حتى الرابع الابتدائي؛ أي حتى التاسعة من عمره، وبناتقاله إلى معان ثلاث أو أربع سنوات ينسب نفسه لها؟! وقد حمل الروائي البطل اسمه نسبة لمكانه، فكان للعنوان دال مكاني واضح، ودال شخصي خفي يتجلى بعد قراءة العمل الروائي.

وبعد قراءة الرواية يمكنني القول إن الروائي رمضان الرواشدة

الوقائع والمواقف المعروضة كنفويض لزمن الخطاب» (برنس جيرالد، ص78)، ويطلق عليه جيرار جنيت في كتابه «نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبتير» زمن المحكي، ويرى أنه يتعلق بالصيغ الزمنية التي نقل إلينا عبرها المحكي، ويؤكد أن هذا السؤال يرتبط ارتباطاً وثيقاً بين المحكي والحكاية ولا علاقة للسرد هنا. (ص123)، إذاً زمن القصة هو زمن وقوع الأحداث، تشير رواية جنوبي أن أحداثها تمتد من ستينيات القرن الماضي حتى الواقع المعاصر، فهي رواية حديثة، صدرت 2019.

أما زمن الخطاب فيُقصد به «الوقت الذي يستغرقه عرض الوقائع والأحداث المروية كنفويض لزمن القصة» (برنس جيرالد، ص78)، وأطلق عليه جيرار جنيت زمن السرد، وأشار أنه يخضع لثلاثة أوضاع زمنية، وهي: الماضي والحاضر والمستقبل، وبناء على ذلك يكون السرد اللاحق والسرد السابق أو الاستباقي أو السرد المزامن، ولكنه نموذج رابع أطلق عليه السرد المتداخل أو المتقطع وهو المزيج من السرد اللاحق والسرد المزامن. (ص122، 123). إذن زمن الخطاب هو الزمن الذي لا يخضع لواقع تسلسل الأحداث، بل كيف تجلت في النص، وجاء الزمن في رواية «جنوبي» متداخلاً بين السرد اللاحق والمزامن، فلم تتدرج الأحداث على طول الحكاية وفقاً لخط زمن وقوع الأحداث فعلاً، بل جاءت متشظية، قدّم الأحداث بتسلسل خاص بالعمل الروائي، موظفاً تقنيات السرد الحديث.

إنّ قارئ رواية «جنوبي» يلحظ أنّ سرد الأحداث والوقائع يخضع لإيقاع السرد ومتطلباته، إذ لا يخضع سرد الحدث الواحد للتدرج الزمني التتابعي، وإنما لتداخل الأزمنة الداخلية، أي التناسل اللاعضوي للأحداث. فعلى سبيل المثال يبدأ السرد الروائي من المكان الذي يتواجد به البطل «جنوبي»، بعد ذلك يروي عبر الأحداث ميلاده وتنقله، فذلك الحدث يبدأ من نهايته.

فيتساءل ماذا عساه يريد أن يقول؟ وبعد القراءة يخلص القارئ أن سمعان والد «جنوبي» الشخصية التي تتمحور حولها الرواية. هل الإنسان عندما يكون في وطنه وبين أهله يكون غريباً؟ أم هل هي غربة الروح؟ أم غربة الفكر؟ وفي صدد روايته يقول: «وأنت هكذا بدأت غريباً، وستعيش غريباً، وستموت غريباً، فطوبى للغرباء!» (جنوبي: ص79)، هل استهلاله بالغربة والتمحور حولها شفعياً لتغييره وانقلابه، لا سيّما أنه وضّح صراحة أنه ليس ابن عشيرة كبيرة، ولا يقدم خدمات شخصية للشعب والناس من حوله، وليس غنياً قادراً على جلب واستقطاب الناس حوله بقوله: «عندما قررت الترشح للانتخابات النيابية نصحني عددٌ من الأصدقاء ألا أفعل؛ معتمدين على رؤيتهم للانتخابات بأنها لعبة العشيرة الكبيرة أو الخدمات الشخصية أو المال، وجميعها غير متوفرة لدي» (جنوبي: ص80) لكنّ السؤال الذي يفرض ذاته على القارئ لم أحس البطل بالغربة إبان الانتخابات فقط، وقبل ذلك كان يرفل بالأصدقاء وينعم بالأهل والمعارف؟

المحور الثاني: الزمن والمكان في الرواية

أولاً: بنية الزمن

إنّ الزمن بوصفه عنصراً أساسياً من عناصر العمل الأدبي، ولا سيّما القص/ السرد فهو من أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بالزمن، وقد أشارت سيزا قاسم أن: «الزمن هو القصة وهي تتشكل وهو الإيقاع» (ص38)، وتوقفت الباحثة في معالجة الزمن عند زمن القصة وزمن الخطاب:

◆ زمن القصة وزمن الخطاب

المقصود بزمن القصة هو «المدى الزمني الذي تستغرقه

وفيما يلي توضيح لأحداث الرواية وفقاً لزمن السرد وزمن القصة:

الرقم	الأحداث كما وردت في الرواية: زمن السرد	الرقم	الأحداث كما وردت في الواقع: زمن القصة
1	في حي " الهاشمي " في عمان	1	الولادة في إربد
2	الحياة في معان	2	الانتقال إلى معان
3	الولادة في إربد	3	الانتقال إلى " حي الهاشمي " في عمان
4	الانتماء إلى الحزب اليساري	4	موت الأب
5	الرحيل إلى معان.	5	المرحلة الإعدادية
6	الرحيل إلى عمان (حي الهاشمي).	6	المشاركة في معركة خلد في بيروت ضد اليهود.
7	مرحلة المدرسة ولا سيّما الإعدادية.	7	السجن.
8	مرحلة الجامعة (البيكالوريوس).	8	الالتحاق بالجامعة _ مرحلة البكالوريوس..
9	الحب في فترة المراهقة.	9	موت الأم.
10	موت الأب.	10	الحياة الجامعية في اليرموك
11	موت الأم.	11	المشاركة في التنظيم الطلابي والأحزاب.
12	الالتحاق بالجامعة (بكالوريوس).	12	الانتماء للحزب اليساري.
13	مرحلة البكالوريوس.	13	السجن والمطاردة.

الرقم	الأحداث كما وردت في الرواية: زمن السرد	الرقم	الأحداث كما وردت في الواقع: زمن القصة
14	التخرج.	14	التخرج.
15	الماجستير.	15	الالتحاق ببرنامج الماجستير- الجامعة الأردنية.
16	الانتماء للحزب الناصري.	16	المشاركة في المظاهرات.
17	فدائي في معركة خلدا ضد اليهود في بيروت، وذلك سنة التوجيهي.	17	السجن.
18	مرحلة البكالوريوس.	18	الحزب الناصري.
19	الانتماء للصوفية.	19	الحب في مرحلة الشباب/مرحلة الماجستير.
20	الحب في مرحلة الماجستير.	20	الصوفية.
21	الزوجة.	21	الزوجة.
22	الانتخابات.	22	الترشح للانتخابات.
23	موظف مستشار في السلطة.	23	موظف مستشار في السلطة

والأحداث المهمة والوصول بعدد من خيوط السرد إلى نهايتها.

● استباق داخلي: وهو الاستباق الذي لا يتجاوز خاتمة الحكاية ولا يخرج عن إطارها الزمني، وظيفته تختلف باختلاف أنواعه. والاستباق الداخلي نوعان:

◆ الاستباق الداخلي غير المنتمي إلى الحكاية: ويسمى عند البعض براني الحكوي، وهو الاستباق الذي يروي حدثاً واقعاً ضمن زمن السرد الأولي ولكنه خارج عن موضوع الحكاية.

◆ الاستباق الداخلي المنتمي إلى الحكاية: ويسميه البعض جواني الحكوي، وهو الاستباق الذي يتناول حدثاً واقعاً ضمن زمن السرد الأولي وضمن موضوع الحكاية، وهو نوعان: تكميلي ومكرر.

- الاستباق الداخلي المنتمي إلى الحكاية التكميلي: وهو الذي يسد مسبقاً، نقصاً سيحصل في السرد الأولي. إنه تعويض عن حذف الحق، فوجوده يكمل السرد.

- الاستباق الداخلي المنتمي إلى الحكاية المكرر: وهو الذي يكرر مسبقاً، و إلى حد ما مقطعاً سردياً لاحقاً. حدث ويأتي هذا الاستباق عموماً بصورة إشارات قصيرة تنبه إلى حدث سيتناوله السرد لاحقاً بالتفصيل (لطيف زيتوني، ص 16 - 17 - 18).

وقد تخلل الاسترجاع والتذكر في «جنوبي» استباق داخلي منتمٍ إلى الحكاية التكميلي، بقوله: «لم أعرف أن القدر يخبئ لي مصيري، وأني سأكون مثلهم» (جنوبي، ص 21)، وقوله: «بعدها بثلاثين سنة أتيح لي أن أجلس إلى مدير المخابرات بعد الانفراج الديمقراطي بسنوات» (جنوبي، ص 22).

◆ الحاضر:

وقد غلب على الفصل الأخير بشكل جلي، زمن التأمل والتفكير والملاحظة، وزمن الحوار، ومثال ذلك: «أنت الآن تعاني الشيزوفرينيا بين الحنين إلى أيام المعارضة والواقع الذي تعيشه متمتعاً بفضلات ما تقدمه لك الدولة» (جنوبي، ص 92)، والقارئ المدقق يلحظ أنه غلب على منحى الرواية الخطابية أيضاً، فعلى سبيل المثال، «أنت الآن في الحزب الناصري...» (جنوبي، ص 45)، و «أنت الآن فدائي...» (جنوبي، ص 49).

على الرغم من تتداخل الأزمنة في أحداث الرواية، إلا أن زمن الخطاب ظل يتجه صاعداً إلى الأمام بشكل أفقي حتى وصل إلى نهاية قصة «جنوبي». وهذا اللاتلاؤم في زمني الخطاب والقصة أطلق عليه جيرار جينيت اختلالات زمنية، وجاءت المفارقة الزمنية في تتابع الأحداث بين الاسترجاع والاستباق والحاضر.

◆ الاسترجاع

ويُقصد به استعادة الأحداث الماضية، التحول إلى الخلف. (جيرالد، ص 55) وعرفه جيرار باسترجاع باختصار ماضي الشخصيات، ويكون غالباً في بدايات الروايات الكلاسيكية (جيرار، ص 124)، وجاء في الفصول الثلاثة الأولى من الرواية، حيث حرص الروائي على استعادة الماضي: الطفولة والشباب الثائر والدراسة، زمن التذكر والحكايات، والتحويلات الواضحة في مسيرة حياة البطل «جنوبي»، وعلى سبيل ذلك قوله: «كنا نسكن في بيت أم عوض الهباهبة، في حي كله من الشوابة والكركية والطفالية والمعينة» (جنوبي، ص 9)، وقوله: «في العام 1986 خرجنا في تظاهرات طلابية مطالبة دامت ستة أيام وانتهت يوم الخامس عشر من أيار» (جنوبي، ص 37).

◆ الاستباق

ويُعرف أيضاً بالاستشراف، وتعني به الباحثة الدكتورة مها قصراوي» إذ يقوم الراوي باستباق الحدث الرئيس في السرد بأحداث أولية تمهد للآتي وتوهم للقارئ بالتنبؤ واستشراف ما يمكن حدوثه، أو يشير الراوي بإشارة زمنية أولية تعلن صراحة عن حدث ما سوف يقع حتماً في السرد» (ص 211)، وعرفته آمنة يوسف بأنه «تقديم الأحداث اللاحقة والمتحققة - حتماً - في امتداد السرد الروائي، على العكس من التوقع الذي قد يتحقق وقد لا يتحقق» (119).

إذن الاستباق من المفارقات الزمنية التي يقفز فيها السرد للأمام، والاستشراف تصوير مستقبلي لحدث سردي سيأتي مفصلاً فيما بعد، وقسم جيرار الاستباق إلى:

● استباق خارجي: وهو الاستباق الذي يتجاوز فيه الزمن حدود الرواية، أي أنه يمتد بعد الخاتمة لكشف مآل بعض المواقف

◆ حركة السرد

إنَّ حركة السرد تتركز على «الوتيرة السريعة أو البطيئة، التي يتخذها في مباشرة الأحداث، وذلك عبر مظهرها الأساسين: تسريع السرد الذي يشمل تقنيَّتي الخلاصة والحذف، حيث مقطع صغير من الخطاب يغطي فترة زمنية طويلة من القصة، ثم تعطيل أو إبطاء السرد، ويشمل تقنيَّتي المشهد والوقف، حيث مقطع طويل من الخطاب يقابل فترة قصصية ضئيلة» (بحراوي، ص144).

◆ تسريع السرد، وقد تجلّى في :

1. الخلاصة (ز > س) يطلق عليها جيرار جينيت في كتابه «خطاب الحكاية» المجلد، ويعرّفها «السرد في بضع فقرات أو بضع صفحات لعدة أيام أو شهور أو سنوات من الوجود دون تفاصيل أعمال أو أقوال» (ص109). وأشار حميد لحميداني أنّها تعتمد على «سرد أحداث ووقائع يُفترض أنّها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة، دون التعرض للتفاصيل» (ص76)، وذكر حسن بحراوي أنّها: «تقنية زمنية عندما تكون وحدة من زمن القصة تقابل وحدة أصغر من زمن الكتابة، تلخص لنا فيها الرواية مرحلة طويلة من الحياة المعروضة» (ص145)، أي المرور السريع على الأحداث الحكائية السردية، وقد وردت في الرواية بشكل ملحوظ ومتكرر، فعلى سبيل المثال قوله: «أنت الآن تعاني الشيزوفرينيا بين الحنين إلى أيام المعارضة والواقع الذي تعيشه متمتعاً بفضلات ما تقدمه لك الدولة» (جنوبي، 92)، فلم يطلعنا الراوي على واقعه الذي يحياه بالتفصيل مقارنة بالماضي. وقوله: «انتهت فترة التحقيق، وأفرج عني» (ص53) فلم يذكر مجريات التحقيق.

2. الحذف (س = صفر) هو «قفز زمني فوق مدة روائية طويلة أو قصيرة من غير إشارة إلى ما وقع فيها من حوادث ووقائع، ويستعمل الراوي في هذه الحال، عبارات تحدد مدة الحذف (ومرت شهور، أو سنوات - بعد ثلاثة أيام ...) فيدل بذلك على أنّه غير راغب في تقديم الحوادث التي وقعت خلال هذه المدة، ولكنه يهمل أحياناً تحديد مدة الحذف مستفيداً من فرصة الانتقال من آخر الفصل إلى أول الفصل الذي يليه» (الفصل سمر، 2012، ص168)، ويمكن حصر أنواع الحذف في النصوص بثلاثة أنواع: الحذف المعلن، والحذف غير المعلن، والحذف الضمني. (القصراري، ص233 - 235)، يلحظ القارئ تجلي الأنواع الثلاثة في الرواية، الحذف المعلن: أي أنّ الفترة الزمنية محددة بصورة صريحة واضحة، بقوله: «بعدها بثلاثين سنة أتيت لي أن أجلس إلى مدير المخابرات» (جنوبي، 22)، وقال في موضع آخر: «بعد ذلك بحوالي 25 عاماً هاتك الضابط المحقق «أبو علاء» الذي أشرف على التحقيق معك وعلى ضريك» (جنوبي، 57). بينما الحذف غير المعلن، أي أنّ الفترة المحذوفة التي أسقطها الكاتب غامضة وغير واضحة بقوله: «... بعدها بسنوات وزعت منشورات تعادل «شعر الرأس...» (ص29). أمّا الحذف الضمني في الرواية، أي أنّ مدة الحذف غير مذكورة، إنّما مبطنة من تجاويف السرد، فلم يفصل كم هو العمر الذي صبرت عليه زوجته، بقوله: «وتؤمن بعد كل هذا العمر أنها صبرت عليك لأنها امتزجت بروحك» (جنوبي، 76).

◆ تبطن السرد، وتكمن في :

1. المشهد (ز = س) يعرّفه جينيت بـ «التساوي العرفي بين زمن الحكاية و زمن القصة» (خطاب الحكاية، ص102)، وعرّفه حميد لحميداني بقوله: «المقطع الحوارية الذي يأتي في كثير من الروايات في تضاعيف السرد... اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث الاستغراق» (ص78)، وفي المعنى ذاته أشار حسن بحراوي أنّ «المشهد هو الذي يحقق تقابلاً بين وحدة من زمن القصة ووحدة مشابهة من زمن الكتابة» (ص166)، أي أنّ الزمن يصبح أشبه بمعادلة طرفاها نوعا الزمن، وقد جاء في الرواية: «قال لها: «لماذا تهتمين به؟! .. على الأقل سيمضي سبع سنوات في السجن، لأنّ التهمة كبيرة!... تقول لك: لا أحد يعرف قيمة التجربة عندي، أرجعتني لسنوات بعيدة قريبة» (جنوبي، 59)، وفي موضع آخر: «بعد ذلك بحوالي 25 عاماً هاتك الضابط المحقق «أبو علاء» الذي أشرف على التحقيق معك وعلى ضريك، قال لك: «أنا ذاهب إلى الحج! أريد منك أن تسامحني! قلت له: أنا مسامحك» (جنوبي، ص57). وقوله أيضاً: «قلت لها: ما رأيك؟! قالت: هي المرة الأولى التي أقرأ لك فيها كلمات موجزة» (ص75).

2. المونولوج «يعد المونولوج نوعاً من الحوار الداخلي بين الشخصية وذاتها، وفي هذه الحالة يتوقف فيها زمن الحكاية في الرواية ليتسع ويتمدد زمن الخطاب» (القصراري، ص240)، وقد أسهم في تأمل مشاعر الراوي وتأملاته النفسية للراوي، وذلك بقوله: «وكنت تقول بينك وبين نفسك: كيف لهذه الفلسطينية أن تصبر عليك وأنت عاطل عن العمل؟!... لقد صبرت عليك كثيراً، وهي ابنة العزّ ورضيت بك عن غيرك، وعاشت معك على الوضع الصعب والأيام القاسية» (ص59).

3. الوقفة الوصفية (ز = صفر) «وتتعلق بالمقاطع التي تتوقف فيها الحكاية وتغيب عن الأنظار، ويستمر الخطاب السارد وحده. إن الوقفة إذن اختلال زمني غير سردي» (جيرار، 1989، ص127)، جاء الوصف في الرواية، وصفاً لليوم الذي ارتحلوا به، بقوله: «في اليوم الذي سكننا فيه الهاشمي، كان الجو ممطراً، وزواحيق ثلجية، وبردا شديداً» (جنوبي، 26). ووصف للكلمات بقوله: «كلمات موجزة مثل دمعة، وسحيفة مثل محيط، تمس الروح مساً دافئاً دون أن تخدشها، تسكن النفس دون عناء، معان عميقة ربما تفوق قدرتي على فهمها» (جنوبي، 75).

والقارئ المدقق يلحظ سيطرة الزمن الماضي على الرواية، فهل كان الراوي يريد الخروج من ذاته أم هل الماضي والتاريخ يسيطران على عقله، ويسعى للتحرر منهما؟ أم أنّ هذا يشير إلى هيمنة اللاوعي على الروائي؟

◆ ثانياً: بنية المكان

إذا كان الزمن هو السرد، فإن المكان هو الرواية، فالمكان من العناصر المهمة في حياتنا اليومية، وفي أي عمل أدبي، فإذا حدث شيء ما أو قرأت نصاً ما، فسرعان ما تتبادر العديد من الأسئلة المبهمة إلى الذهن، ومن هذه الأسئلة.. أين؟ أين جرى ذلك؟ وهو سؤال مسوغ، وإلا فكيف ستتخيل الشخصيات والأحداث، وتعيش تجربتها وشعورها، إذا لم يكن هناك حيز مكاني متواجدة فيه. ويدعم ذلك الرواية المتخيلة، فعلى الرغم من أنّها ليست من الواقع

الغالبية العظمى من سكانه يعملون في الجيش أو القصور الملكية القريبة منه، بقوله: «ويقع باب القصور في الغرب من الجبل ولا يفصله سوى شارع صغير عنه. وكنت ترى الموظفين في القصور وهم يغادرون مساء المقص العسكري أو ما يُسمى الباب الشرقي للقصور، عاندين إلى بيوتهم في الهاشمي الجنوبي» (جنوبي:10)، يرى الروائي أن له من اسمه نصيباً، بقوله: «طابت لهم الإقامة قرب معسكرات الجيش؛ حيث الباب الشرقي للقصور الملكية يُطل على هذا الذي له من اسمه نصيب «الهاشمي»؟» (جنوبي:9).

أقام به «جنوبي» بعد تنقله من معان، ويصور الزقاق في الحارات أشبه ما تكون بالقرى ولا سيما الجنوبية، بقوله: «الأزقة التي تمتلئ بها الحارات في الهاشمي أشبه ما تكون بقرية صغيرة من القرى الجنوبية» (جنوبي:9)، هل حبه للجنوب ما يزال بقلبه فجعله يذهب إلى هذه الصورة؟ أم الصورة حقيقة؟

2. معان

مدينة صحراوية جنوبية تقطن فيها عائلة أم البطل وأخواله، انتقلوا إليها بعد أحداث 67 وإصابة أخيه برأسه، وكانت إقامتهم مؤقتة، فسرعان ما انتقلوا مرة ثانية لعمان، وعلى الرغم من ذلك فقد تأثر البطل بحياة أهل معان تأثراً كبيراً، ففي خلال إقامتهم رأى البطل أن معان تختلف عن إربد؛ مسقط رأسه حيث تنعم معان بعادات وتقاليده وطقوس واحتفالات خاصة بها، وذكر الروائي منها الكبسة المعانية التي سرعان ما تقام للسكان الجدد القادمين لها من أهلها الأصليين، وذكر الأجواء الدينية الروحانية في رمضان والمولد النبوي والمناسبات الدينية، وعادات الناس الطيبة في تقاسم الطعام، بقوله: «أحبُّ شهر إلى قلبي قضيته في معان كان شهر رمضان والليالي الدينية التي كان الناس يحيونها في المسجد الكبير في معان. كان من عادة أهل معان عند المغيب وقبل الإفطار أن يقسموا من أكلهم لجيرانهم» (جنوبي:18)، هذه الحياة المتشابكة والمتعاضدة بين الناس بعضهم البعض، السبب في حبِّ البطل لحياته في معان مقارنة بإربد بقوله: «شعرتُ بسعادة في معان أكثر من سعادتي وأنا في إربد، ربما لاختلاف الناس أو الحياة أو التقاليد، حيث معان متشابكة عشائرياً» (جنوبي:19)، حتى يجد القارئ أن الروائي أطلق على البطل «جنوبي» نسبة إلى معان الجنوبية رغم أنه ابن إربد، ليؤكد لنا تغلغلها في قلبه وتأثره به، تجلّى ذلك بقوله: «مدينة صحراوية، لكنها مدينة مدينة! ... مليئة بالحيوية وأهلها رجال» (جنوبي:11).

3. إربد

وُلد بها البطل «جنوبي»، لكن علاقته بها واهية لا يعرفها ولا يعرف أهلها، بقوله: «كان شارع الرشيد هو الشارع الوحيد الذي عرفته في إربد، ففيه وُلدت» (جنوبي:19)، فضلاً على أن علاقة الناس ببعضهم البعض مختلفة اختلافاً كلياً عن معان «في إربد لا تكاد تعرف فيها الناس، رغم مولدي فيها وقضاء بدايات الطفولة هناك» (جنوبي:19) هذا من جهة ومن جهة ثانية كانت نشطة بالأحداث والمظاهرات، بقوله: «كانت مظاهرات إربد حدثاً غير عادي لنا أيام الستينات». لكن مشاعر الحنين ترافقه لها بقوله: «إربد مدينة حنون أكثر من غيرها، وفيها الحب الأول وولادة التجربة» (جنوبي:54)، وبذلك يتجلّى التناقض بين شعوره بالغرابة نحوها، ومداعبة الحنين له بعد مضي السنين، إلا أن ذلك يثبت المقولة

بمكان إلا أن لها فضاء مكانياً تسبح به، وبالتالي يمكننا القول لو لم نجد مكاناً في الرواية لا اخترعنا لها مكاناً، وليس هذا فحسب، بل ويندمج مع العنصر الثاني من عناصر العمل الروائي؛ وهو الزمان، ليغدو مكاناً حقيقياً ذا قيمة، وهذا ما تُرجم بأراء العديد من النقاد حين بينوا وأكدوا أن المكان لا يكون منفصلاً عن غيره من العناصر الأدبية، وأولها الزمن، تجلّى ذلك في قول حميد لحداني: «الحديث عن مكان محدد في الرواية يفترض دائماً توقفاً زمنياً لسيرورة الحدث. لهذا يلتقي وصف المكان مع الانقطاع الزمني، في حين أن الفضاء يفترض دائماً تصور الحركة داخله، أي يفترض الاستمرارية الزمنية» (1991، ص63)، وبين أيضاً أن «أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار معين، لذلك الروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني» (ص65)، وأشار بإشلال على احتواء المكان ضمناً للزمان، بقوله: «إنَّ المكان في مقصوراته المغلقة، التي لا حصر لها، يحتوي على الزمن مكثفاً. هذه هي وظيفة المكان» (باشلار، ص39) إذن، المكان هو كل شيء، فالزمن عاجز عن التوقف والرجوع أو التقدم، أو حتى الخروج عن الزمن، لكن المكان قادر على استيعاب الزمن الغابر، والآتي، ومن هنا فإنَّ المكان مسرح العمل الروائي، ويتفاعل مع عناصر العمل الأدبي؛ الزمن والشخصيات والأحداث، يتبلور الفن الروائي. وتتناوله الرواية تناولاً مباشراً، وذلك كونه يسهم بطريقة مباشرة في فهم «الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، والقرطاس المرئي والقريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه، مخاوفه وآماله وأسراره، وكل ما يتصل به، وما وصل إليه من ماضيه ليورثه إلى المستقبل، من خلال الأماكن نستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيه وطريقة حياتهم، وكيفية تعاملهم مع الطبيعة، أي من منظور تاريخي» (النصير، ص16 - 17)، ومن هنا فقد عدَّ بعض النقاد أهم عناصر العمل الروائي، بقوله: «إنَّ الفضاء داخل الرواية، بعيداً عن أن يكون محايداً نراه يُعبّر عن نفسه من خلال أشكال متفاوتة، ويكتسب معاني جديدة متعددة إلى الحد الذي نراه أحياناً يمثل سبب وجود النتائج نفسه» (لحميداني، ص66)، وفي المعنى ذاته قال باشلار: «إنَّ العمل الأدبي حين يفقد المكانية، فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصلاته» (باشلار، ص56)، وقد أكد ذلك تصور أحد النقاد بقوله: «عبقرية الأدب، حقاً، حيزه» (مرتاض، ص137)، وتعود أهميته لما يحتله من نسبة اشتغال في النص الروائي، إلى جانب عناصر أخرى (مراشدة، ص145).

وقد تجلّى المكان في رواية «جنوبي» بنوعيه؛ المفتوح،

والمغلق، وجاء كآتي:

أولاً: المكان المفتوح

كان نصيب الشخصية الأعظم في الرواية في المكان المفتوح، حيث كان دائم السعي للبحث عن حلمه المتجلي بالديمقراطية والوحدة العربية؛ وتجلت الأمكنة المفتوحة في:

1. حي الهاشمي

حي الهاشمي يقع على جبل شرق القصور الملكية، سمي بـ«الهاشمي» نسبة لذلك، تجمع الناس ببعضهم البعض علاقات طيبة قائمة على التأخي والمحبة، فضلاً عن أن الحي كان بعيداً عن المواجهات خاصة خلال أحداث الستينيات والسبعينيات. وكانت

الدارجة «المربى حنون».

4. عمان

الزمن. واستطاع الروائي استحضر ذلك وإظهاره ببنية دلالية ملائمة، فقد وظف لفظة «السجن» صراحة، نلاحظ دقة اللفظة، فهي توحي بانغلاق المكان وانسداده، ويوحي العالم المغلق في سيرة الروائي بوطنيته، فقد كان ثائراً مطارداً، وأتضح ذلك بالتحقيق والضرب الذي تعرض له، فحُضِرَ السجان يزداد طردياً مع وطنية المسجون، إلا أن ذلك لم يكسر شوكتة ويثني عزمته، وفي الوقت ذاته يكشف ذلك عن قسوة السجان.

المحور الثالث: الشخصيات في الرواية

إن الشخصية الروائية مستمدة من الواقع ولكن إبداعات الروائي تجعل بين الشخصية والواقع خيطاً رفيعاً لينتج لنا الروائي شخصية فنية لها قوانينها وسماتها، وبذلك يجعلها تدور في فلك الرواية محوراً أساسياً وحضوراً طبيعياً وليس مصطنعاً، وقد عرّفها «فور ستور» في كتابه أركان الرواية، بقوله: «إننا لا نتوقع شيئاً أكثر من أن تتطابق كلياً مع الحياة اليومية بل أن تتوازي معه» (1994، ص 52)، ويرى مرتاض إن «الشخصية الروائية عالم معقد شديد التركيب، متباين متنوع، تتعدد بتعدد الأهواء والمذاهب والأيدولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية، التي ليس لتنوعها ولا لاختلافها من حدود» (1998، ص 73)، وقد عرّفها معجم مصطلحات نقد الرواية بأنها «هي كل مشارك في أحداث الحكاية، سلباً أو إيجاباً، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات، بل يكون جزءاً من الوصف. الشخصية عنصر مصنوع، مخترع، ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها، ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها» (زيتوني، 2002، ص 113 - 114).

يمكننا القول إن الشخصية هي المحرك في إنجاز الرواية، وذاك لأنها هي العنصر الحي الوحيد من خلال مكونات النص السردية، وتمارس نشاطاتها داخل الرواية، فهي تحب وتكره تعيش وتموت، ولها مواقف في المجتمع الروائي وبذلك تنمو الشخصية وتتطور، فلكل شخصية أفكار تظهرها بشكل تدريجي وفق أحداث المنطق الذي يحكم بنية العمل الروائي.

وفي رواية «جنوبي» نجد العديد من الشخصيات التي تفاعلت داخل النص الروائي، وتشكلت من عناصر السرد، وقد قمت بتقسيم الشخصيات في رواية «جنوبي» إلى ثلاثة أقسام: الشخصية الرئيسة والشخصية الثانوية والشخصية التاريخية. وجاءت كالاتي:

أولاً: الشخصيات الأساسية

◆ شخصية جنوبي بن سمعان

شخصية جنوبي النافذة التي تطل من خلالها الرواية، والبويرة التي تمحورت حولها الرواية، وتشابكت مع شخصيات الرواية كلها من خلال توالي الأحداث وتراكمها، هو بطل هذه الرواية، والأنا الساردة شابٌ قرويٌّ مغامر طموح مثقف، الابن الأصغر لعائلته، ولد في إربد، لكنه ما لبث بها، فقد تنقل مع عائلته، وكان لهذه التنقلات الأثر البين في تبلور شخصيته، يطل علينا في الرواية يقطن في الحي الهاشمي مجاوراً للقصور الملكية الهاشمية، إثر تنقله من معان المدينة الصحراوية استجابة لدعوة شقيقه الأكبر الذي يعمل في الحي الهاشمي، وذلك بعد انتقاله قبل ذلك من إربد مسقط رأسه إلى معان بعد حرب 67 إثر إصابة أخيه بشظية في رأسه.

صوّر الروائي عمان صورة حيةً مكوّناً من أجناس شتى، فهي تمتاز بأنها خليط اجتماعي متشابك «المجتمع خليط: أردنيون من الجنوب والشمال وفلسطينيون لاجئون، ونور، وغيرهم...» (جنوبي: 26).

ولكنه بين أن كل طائفة تقطن بالقرب من بعضها البعض، فقد ذكر أن أهل الجنوب يسكنون معاً، والفلسطينيون معاً وهكذا، «كانت حارتنا لأبناء الجنوب من طفايلة وشوابكة ومُعانيين، وكانت الحارة المقابلة لنا يسكنها أهالي بلدة بيت محسير الفلسطينية» (جنوبي: 27). هل باختيار المؤلف «عمان» بويرة المحط الأخير، يتوارى وراء فقدان الانتماء، والهوية والثقافة وانصهارها في بوتقة واحدة! هل المؤلف يقدم مبرراً ضمناً لتحوّله..؟

5. جامعة اليرموك

البيئة التعليمية التي صقلت البطل، والجهة التي غيرت حياته، بقوله: «لأن الجامعة وتحديداً اليرموك غيرت أفكارى كثيراً» (جنوبي: 33) تخرج البطل «جنوبي» وحصل على شهادة البكالوريوس متخصصاً في اللغة الإنجليزية، كانت مسرّحاً للأحزاب والحركات الحزبية، جواً صاحباً، يمنح الطلبة حرية مطلقة، بقوله: «كانت تغلي بالحياة الحزبية والتنظيم الطلابي» (جنوبي: 40). وكان الحنين إليها ينازعه دائماً، بقوله: «أنت تحن إلى جامعة اليرموك وأيام النضال السري في الثمانينات» (جنوبي: ص 54).

6. الجامعة الأردنية

كانت الملتقى العلمي للبطل في مرحلة الماجستير، فقد التحق في برنامج الفلسفة كلية الدراسات العليا، وكان جو الجامعة هادئاً مقارنة بجامعة المرحلة الأولى، فقال: «الجامعة الأردنية شيء مختلف عن اليرموك؛ فالحياة رتيبة وليس ثمة حياة حزبية» (جنوبي: 40).

ثانياً: المكان المغلق

برز المكان المغلق في جو الرواية، وجاء هذا طبيعياً مع طبيعة البنية السردية التي تعود بنا إلى مرحلة تاريخية، وهي ستينيات وثمانينيات القرن الماضي، وتاريخ نكسة الفلسطينيين من جهة، وتاريخ اليهود في بيروت من جهة أخرى، فسيطرة التاريخ على شخصية البطل «جنوبي» وعلى الرواية بمجملها يخدم منطق الرواية التاريخية، وقد انحصر المكان المغلق في السجن الذي دخل إليه البطل أكثر من مرة، فقد سُجِنَ «أربع مرات لأفكاره والمظاهرات التي شارك فيها» (ص 33)، إلا أن تجربته كانت مختلفة في إحداها فقد عبّر عن ذلك بقوله: «طعم آخر»، قائلاً: «السجن له طعم آخر: التعذيب له طعم آخر، وقراءة القرآن وهو الكتاب الوحيد المسموح والموضوع في الزنزانة، لها طعم آخر!.. وجلسات التحقيق المتعبة والضرب على الوجه والأذن أحدث لي عاهة دائمة أعاني منها، حتى الآن، فقد تُقبت طلبتاً أذني، ورغم العمليات الجراحية التي أجريتها فيما بعد، ما زلت حتى اليوم أعاني من آثارها!» (جنوبي: ص 39)، فكان نصيب الروائي أن يحيا شهرين ونصف في ظلمات السجن، وعلى الرغم من أن المدة ليست طويلة، إلا أنها تركت آثاراً خلدها

كثيفة، وشعره الطويل وارتدائه بنطال جينز، «وهي حالة الطلبة اليساريين أيام منتصف الثمانينات» (جنوبي: ص36). وبمشاركته في التظاهرات الطلابية عام 1986 وتمكنه من الفرار من قوات البادية في بادئ الأمر، إلا أنه وقع بعد تنكره واختبائه في قبضة أجهزة الأمن بحيلة من إخوته، «ليقضي ثلاثة وسبعين يوماً في سجن المخابرات» (جنوبي: ص39). وبعفو صدر عنه خرج من السجن واستكمل دراسته وتخرج حاملاً لشهادة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي. ليفاجأ بسوق العمل فالأبواب كلها موصدة أمامه، فقد «حزتُ المرتبة الثانية على 200 متقدم في اللغة الإنجليزية والتحرير، لأفاجأ برفض تعييني لأسباب أمنية» (جنوبي: ص40). كان ذلك سبباً لالتحاقه ببرنامج ماجستير الفلسفة في الجامعة الأردنية. وإثر تنظيمه مظاهرة منددة بالحكومة لرفعها الأسعار في الجامعة الأردنية سجن لست ليالٍ. تمر بحياته الكثير من المنعطفات فبعد انضمامه لحزب عبد الناصر ستة أشهر أدرك أن الديمقراطية شعارات فقط، ليخلص في أخريات سيرته إلى أن البون الشاسع بين الواقع والخيال الأمر وراء انفصام بعض المثقفين العرب، أو «أدى بهم إلى الانسحاب من الأحزاب والتفوق حول أنفسهم» (جنوبي: 77)، وكان التحول في حياة جنوبي جلياً دينياً تارة، وسياسياً تارة أخرى، غدا صوفياً يرتكز على آية النور في فهمه للكون من حوله وفهمه للعلاقة بين الإنسان وربه، ويرى أن مرحلة النور مرحلة التماهي الكبرى، «فمن يستطيع أن يكون علاقة خالصة بينه وبين الله: منطلقاً من فهم صحيح لآية النور، يصل إلى مرحلة من الإيمان لا بعدها ولا قبلها، لدرجة يصل معها الإنسان لفهم حقيقي للدين والإيمان لا يوازيه فهم» (جنوبي: 61 - 62).

شارك عام 2002 في نقل صورة عن الأحداث التي جرت وقتذاك في معان، ووسم بالنزاهة والموضوعية، مخالفاً بذلك ما تسعى له الدولة، بقوله: «في 2002 عندما اجتاحت قوات الأمن معان بحثاً عن بعض المنظرين الإسلاميين، وحوصرت المدينة كنتُ من بين الصحفيين القلائل الذين دخلوا المدينة وكتبوا عنها بشيء مختلف عما تريده الدولة» (جنوبي: ص11 - 12) وذلك انطلاقاً من إيمانه المطلق بحتمية تحقيق دولة ديمقراطية، إيداناً لولادة الوحدة العربية، لنتفاجاً في نهاية السيرة بتبوءه وظيفة حكومية، وتحوله من المعارضين إلى الأنصار المشيدين بمآثر الدولة والنظام. هل كانت تجربة الانتخابات الشجرة التي قصمت ظهر البعير، وزجت به للولاء للسلطة والنظام، فقد ترشّح للانتخابات في بلدته الجنوبية، وقد كانت تجربة قاسية جداً، خرج منها بالعديد من الدروس والعبر التي لا ينساها أبد الدهر، فقد عقد الأمل على وعي الناس، ليذهب أمله أدراج الرياح، وأدرك «أنّ المراهنة على الوعي والشباب وغيرها من المقولات مراهنة خاسرة، إذ يضيع الوعي أمام المال أو الخدمة الشخصية التي قدّمها هذا المرشح أو ذاك»، وأنّ «الانحياز للعشيرة الكبيرة هو العمل الحاسم والفيصل في الانتخابات» (جنوبي: 80 - 81)، هذه المسيرة الحافلة بالتموجات والانقلابات من مثقف يساري إلى الناصرية إلى الصوفية إلى حزن السلطة جعلته يحيا حياتين معاً، يتوق للماضي السياسي وللمعارضة، ولكنه في الواقع هو جزء من السلطة وينطق باسمها، هذا السبب في إصابته بالشيزوفرينيا؛ وهي انفصام الشخصية.

إذا فشخصية «جنوبي بن سمعان» بطل هذه الرواية، وكان هو المحور الرئيس للأحداث، وهو الراوي العليم، والسارد الحصيف

لم تكن طفولته إلا بالاسم فقط، فقد كانت مليئة بالأحداث الجسام، حتى بلغ الأمر بالراوي القول كنا صغاراً وليس أطفالاً، بقوله: «لم تكن طفولة بالمعنى الحرفي للطفولة» (جنوبي: ص15)، قال في موضع آخر: «كيف لي أن أصف طفولة كل ما فيها أننا كنا صغاراً فقط... وليس أطفالاً» (جنوبي: ص15)، وعلى الرغم من ذلك كان محباً للقراءة، فقد كان يقرأ كتب الأطفال ومغامرات سوبرمان والرجل العنكبوت على سبيل المثال، على حساب دروسه، ومحب لصيد العصفير وكرة القدم أيضاً. تنبأت عرافة في طفولته بأنه سيحيا حياة مليئة بالمطاردة، لكنه سينعم بعد ذلك بالهدوء والاستقرار. في المرحلة الإعدادية وفي الصف الثالث الإعدادي بالتحديد كان البداية لانتقاله لمرحلة جديدة في شخصيته، عندئذ أدرك ما معنى المنشورات، ومعنى الحزب، وراق له الأمر، بقوله: «لم أكن أسمع بما يسمى «المنشورات»، وهي رقيقات مكتوبة على آلة طباعة رديئة، تُوزع في المدرسة، إلا في الثالث الإعدادي، إذ أعطاني أحدهم منشوراً عن يوم الأرض بتوقيع حركة (فتح) فأعجبني الأمر» (جنوبي: ص29)، فبدفعه ذلك إلى تأسيس تنظيم سري بعضويته فقط للسرية التامة باسم «جمعية الأحرار التقدميين» وتوزيع منشورات كثيرة على حد تعبيره تعادل شعر الرأس.

لقد شاء القدر أن يعيش يتيم الأب وهو في السادسة عشرة من عمره، لقد كانت تجمعه مع والده علاقة حب كبيرة، بفقدانها اهتز كيانه، حتى غدا جاحداً بكل شيء، بقوله: «انكسر شيء في داخلي تجاه هذا العالم المجنون، وكدت أكفر بكل شيء» (جنوبي: ص31) وفي العشرين من عمره فقد أمه أيضاً ليرافقه الحزن والألم سنوات.

روح المقاومة بدمه وقلبه وعروقه، فقد شارك وهو ما يزال على مقاعد الثانوية العامة في معركة خلدا مع الفلسطينيين ضد اليهود في بيروت، ولما كان ما يزال صغيراً فقد غامر وذهب تهرباً لينتهي به الأمر في السجن عدة أسابيع.

كان حلمه الانضمام لسلاح الطيران؛ طيار حربي، فقد جمع صوراً لطائرات حربية من المجلات العسكرية، لينتهي بمجلة عسكرية سورية خاصة به، ولم تكن رغبة الالتحاق بالتعليم الجامعي تنازع حلمه، ولكنه عمل بنصيحة إخوته و سجله في الجامعة، ليكون أول شخص من أبناء سمعان يحصل على شهادة جامعية. وقد كانت المرحلة الجامعية نقطة تحول في حياته، ففي المرحلة الأولى غدا ثورياً مطارداً، لأفكاره ومشاركته في المظاهرات، وقد سجن لأربع سنوات. بقوله: «لأنّ الجامعة وتحديداً اليرموك، غيرت أفكار كثير، وحوّلت مسرى حياتي من شاب يريد أن يكون مقاتلاً مدافعاً عن سماء وطنه إلى شابٍ ثوريٍ مطارّد يسجن أربع سنوات لأفكاره والمظاهرات التي شارك فيها!» (جنوبي: ص33).

كان جنوبي طالباً مجداً في جامعة اليرموك، فقد انزوى عن الناس والأصدقاء، يقضي نهاره في الجامعة وليله في القراءة، حتى يوم جاءه صديقه رائد يقرأ عليه بياناً بعنوان «أردن ديمقراطي»، كان ذلك البيان مفتاحاً لباب جديد في مسار حياته، فغدا يتردد على قراءة هذه البيانات سرّاً، شيئاً فشيئاً حتى انضم إلى التنظيم الطلابي، وفي عام 1986 نالته أيدي رجال البادية كونه طالباً مشاغباً شيوعياً. وشارك عام 1993 في الاقتحام الطلابي لمكتب رئيس الجامعة لإعادة الطلبة المفصولين، وإلغاء ما يسمى بالعلامة المعادة. وكانت شخصيته توحى بفكره وانتمائه فقد كان ذا لحية

رأسه في حرب الاستنزاف؛ وهي الحرب القاسية التي رافقت حرب 1967، فما كان من الأم إلا الذهاب إلى معان حيث تقطن عائلتها، بقوله: «أما قصة الرحيل من إربد التي ولد أغلبية إخوتك وأنت فيها، فلذلك حكاية. كانت الأجواء بعد حرب 67 قاسية، وتسمى حرب الاستنزاف، يومها تصفوا مجمّع الباصات، وأصيب شقيقك الأكبر بشظية في رأسه؛ فحلفت أمك برأس أبيها أن ترحلوا إلى معان قرب والدها شيخ المشايخ، فكان لها ما أرادت.»

وذلك لأنه كان وقتذاك يعمل في عمان، رغبة منه لتكون عائلته قريبة منه محلياً ومعنوياً، بقوله: «كنت في الصف الرابع الابتدائي عندما رحلت من معان إلى الهاشمي الجنوبي، لأن الشقيق الأكبر يعمل في عمان، ويريد من العائلة أن تكون قريبة منه» (جنوبي:ص:10).

ثانياً: الشخصيات الثانوية

◆ شخصية العرافة «النورية»

هذه إحدى الشخصيات التي صادفها البطل في الصغر، وهي عرافة تتقصى الأخبار من الجن والشياطين، أصابت في تنبئها للبطل بحياة بين مد وجزر، يلقي السلام في معارك عديدة، بقوله: «وأي نبوءة تلك التي حدثتني عنها العرافة «النورية» التي زارتني يوماً وأنا صغير، وتفردت في يدي بعد أن نقدتها أمي عشرة قروش، وقالت: «ستبقى نصف عمرك مطارداً ملعوناً، لكن الله يمن عليك بعدها بالسكينة، وتنال من الحظ الشيء الكثير!» (جنوبي:ص:22).

◆ شخصية الأخ ناصر

الرفيق في الرحلة من إربد إلى معان، حيث كانا يجلسان فوق الأمتعة، بقوله: «في الطريق الطويل من إربد إلى معان، كنت وأخي ناصر نجلس فوق الأثاث» (جنوبي:ص:16).

◆ شخصية الخال

لم يذكر اسمه، لكنه كان صديقه بحكم العمر، فقد كان في سنه وفي المرحلة الدراسية ذاتها أيضاً، والصديق الأقرب، بقوله: «في مدرسة معان تجاوزت وخالي لأمي، الذي هو في سني وفي نفس الرحلة... وأصبحنا الأقرب إلى بعضنا؛ نرد هجمات الآخرين عنا حينما يتحالفون علينا» (جنوبي:ص:16 - 17).

◆ شخصية الجد

شخصية الجد للأم، يقطن في معان، وهو شيخ المشايخ، وكان مزواجاً، فقد تزوج أربع نساء، وأبناء الزوجة الرابعة في عمر أبناء ابنته «وجدتي كان مزواجاً، وأولاده من الزواج الرابع في مثل سني وسن إخواني» (جنوبي:ص:16).

◆ شخصية الأستاذ يعقوب

أستاذ البطل «جنوبي» في المرحلة الابتدائية في مدينة معان، كان يلبس نظارة سمكية، ويحمل عصا في يديه، تنال من لم يؤد وظائفه المدرسية، «وتتذكر الأستاذ يعقوب الذي كان بنظاراته السمكية يدرّسكم أغلب المواد، وتتذكر أول «كتلة» بالعصا منه؛ لأنك لم تنجز فروضك المدرسية في البيت» (جنوبي:ص:11).

◆ شخصية الشاعر مصطفى السكران

شاعر إربدي مشهور، وهو الجار الملاصق لبيت البطل وعائلته

بالحوية الذاتية، ومن الشخصيات الرئيسة أيضاً في هذه الرواية شخصية الأب.

◆ شخصية الأب

شخصية الأب «سمعان» الرجل المكافح المتواضع المحترم، عمل أربعة وعشرين عاماً وستة أشهر وسبعة أيام في الفرسان والشرطة، وفارق الحياة دون حصوله على لقب الجندي الأول، «الرجل المحترم المتواضع الذي أفنى أربعة وعشرين عاماً وستة أشهر وسبعة أيام جندياً في الفرسان والشرطة دون أن يمتنع نظره بشريطة الجندي الأول على ذراعه!» (جنوبي:ص:32) حيث عمل في البداية جندي فرسان في مقاطعة إربد أحياناً أو في وادي الخفر أو وادي العرب أحياناً أخرى، بقوله: «ولدت لأب جندي فرسان كان يعمل في مقاطعة إربد أحياناً ووادي الخفر أو وادي العرب أحياناً» (جنوبي:ص:19)، وانتقل بعد ذلك ليعمل في الدرك «ترحلنا كثيراً مع الأب الذي كان جندي فرسان، ثم انتقل إلى الدرك فالأمن العام برقم 622، فمن إربد إلى معان إلى الهاشمي الجنوبي» (جنوبي:ص:10).

كانت علاقة البطل مع والده علاقة طيبة إيجابية، قائمة على الحب والود والرحمة، يقول البطل عن والده: «أحببته كثيراً، فأنا الوحيد من أبنائه الذي لم يمد يده عليّ أبداً، ولم يضربني أبداً، وإن حاول إخوتي ضربي فمصيره تلك الليلة المبيت خارج المنزل، حتى لو كان الوقت شتاء» (جنوبي:ص:31) وبمفارقة الحياة عن عمر يناهز أربعة وسبعين عاماً، اهتز كيانه البطل وكان له من العمر ستة عشر.

◆ شخصية الأم

شخصية الأم المرأة العظيمة القوية الكريمة، كانت معروفة حتى غدت مضرِباً للمثل في زمنها، وكان البطل فخوراً بها، كانت معتدة بأسرتها وبنسبها؛ فهي ابنة شيخ، سرعان ما تهب لنجدة الملهوف واستضافة الضيوف القادمين من قريتهم إلى عمان، فقال: «كانت أمي ابنة شيخ، تهب لنجدة الملهوف وتنضيف الضيوف القادمين من قريتنا إلى عمان، حتى في غياب أبي، وتفرد لهم في «البرندة» وتطعمهم، وكنت صباحاً أحمل صينية لأجلب لهم الحمص والفلول من عند «المطعمجي» (جنوبي:ص:32)، وقوله في موضع آخر: «كانت امرأة عظيمة بكل معنى الكلمة... كانت أخت رجال حقيقيين، يضرب بها المثل، وحتى عندما كنت أذهب إلى بلدتنا كان الناس ينادونني باسمها، ولم أكن أخجل بل أشعر بالفخر لأنني ابن أم مثلها، كانت مثلاً للكرم والجود وبيتنا في الهاشمي محباً للزوار والضيوف الذين يعرفون كرمها» (جنوبي:ص:34).

كان لها الأثر الواضح في حياة شخصية البطل، وبوفاتها قال، «كان رحليها موجعاً لي ومأساتها لن يعوضني عنها حب أي امرأة مهما كانت» (جنوبي:ص:34).

◆ شخصية الشقيق الأكبر

«أحمد» الأخ الأكبر، ملاكم، يتمتع بجسم قوي وعضلات مفتولة، تخيف الجميع على السواء، بقوله: (شقيقي الأكبر أحمد الذي كان لاعب ملاكمة، وله جسم كبير

يخشاه الجميع!) (جنوبي:ص:20)، تعدُّ شخصية الشقيق الأكبر السبب وراء تنقل العائلة من إربد إلى معان أولاً، ومن معان إلى الهاشمي ثانياً، أما التنقل الأول فكان بعد إصابته بشظية في

◆ شخصية صديقه رائد

إن صديقه رائد، صديق في مرحلة البكالوريوس في جامعة اليرموك، مسيحي جنوبي من الكرك كان للبيان الذي جاء به لجنوبي الفيصل في حياته، «كان لي صديق اسمه رائد، مسيحي من الكرك، جاءني يوماً وبيده صحيفة مطوية وبداخلها شيء ما.. قال لي «تعال نقرأ هذا البيان»! .. وبينهم، وكأن الله فتح لي باباً جديداً، أخذت أقرأ أول مرة عن شيء اسمه «أردن ديمقراطي»! .. بعد ذلك توالت قراءاتنا الليلية لهذه البيانات» (جنوبي: ص35).

ثالثاً: شخصيات تاريخية

حفلت رواية جنوبي بشخصيات تاريخية أضفت على الرواية الحقيقة والواقعية، ويرى حسن بحراوي أن هذه الشخصيات مهمة في النسيج الروائي فهي تعمل أساساً على «التثبيت المرجعي» أنه تربط الرواية بمرجعها التاريخي والثقافي» (ص220) وكانت في رواية «جنوبي» هي:

◆ شخصية منصور كريشان

الشهيد المعاني، الذي قدّمته معان هو ومجموعة من الأبطال نصره للشقيقة فلسطين، وهو حيٌّ في ذاكرة الناس فلن ينسوه أبداً، وقد استشهد في حرب الاستنزاف: أي عقب 67، إثر قصفه بطائرة إسرائيلية، بقوله: «معان قدّمت الشهداء من أجل فلسطين، وكل الناس يتذكرون منصور كريشان قائد كتيبة الحسين المدرعة الثانية «كتيبة أم الشهداء» في فلسطين، الذي استشهد في أم قيس في حرب الاستنزاف حين قصفته طائرة إسرائيلية» (جنوبي: ص12)

◆ شخصية الحصان

هي شخصية معانية أيضاً، لكنّ الراوي لم يذكر اسمها صراحة، وإنما ذكر صفتها الدلالة دلالة صريحة عليها، فهي شخصية قيادية فدائية، ذكية تمكنت الفرار من قبضة الموت على يدي الإسرائيليين، ربما لذلك جعلها الراوي مجهولة الهوية، بقوله: «وقائد المدفعية المسمى بـ (الحصان) الذي أرقق العدو الصهيوني بمدفعيته، ورغم قصف الطيران الإسرائيلي لمواقعها في معركة الكرامة إلا أنه بقي صامداً» (جنوبي: ص12).

◆ شخصية القائد العسكري حابس المجالي

قائد عسكري أردني قح، شارك في حرب 48 في معركة باب الواد والطرّون، يقول:

«كتيبة قايدها حابس

تقش الأخضر واليابس

حابس حبسهم بالوادي

حابس وجنوده الشجعاني» (25)

المحور الرابع: الراوي والهوية السردية

يتسم طابع رواية «جنوبي» من حيث البنية الخارجية للرواية، ويظهر ذلك في ترتيب الفصول وفي العناوين التي توحى بأن الراوي راويان، وبالتالي الرواية روايتان.

في البداية تقع الرواية على أربعة أجزاء، معنونة، حيث حمل الجزء الأول اسم «هنا عاش جنوبي بن سمعان»، وجاء الثاني بعنوان «مقتطفات من حياة جنوبي»، والثالث «تحولات في حياة

في إربد، حيث «كان بيتنا ملاصقاً لبيت شاعر إربديّ معروف هو مصطفى السكران» (جنوبي: ص19 - 20).

◆ شخصية ليلي وخالتها ياسمين

ليلي حبيبة البطل في طفولته، وهي ابنة أخت حبيبة أخيه - الذي يكبره - ياسمين، فلما كان البطل ساعي البريد بين أخيه وياسمين، ولما كانت ليلي أيضاً تقوم بالدور ذاته، فسرعان ما تصاحبها لسنوات طويلة، وكانت رفيقته في تعبئة الماء من الصهاريج/ التنكات التي قامت البلدية إلى تعبئتها حلاً لأزمة انقطاع الماء، لكن ذلك لم يدم، لانتقال ليلي وعائلتها إلى الخليج بسبب عمل الأهل، وسرعان ما انتهت علاقة أخي ياسمين، عندئذ قال البطل «ضاع الحب من حياتي» (جنوبي: ص30)

◆ شخصية أم محمد الكركية وابنها محمد

امرأة قوية، التجأ إليها البطل «جنوبي» عند هروبه من قوات البادية لمشاركته عام 1986 في التظاهرات الطلابية المطلوبة التي استمرت ستة أيام، فأحسنّت إليه، خبأته، وكانت تزوده بالغداء على الرّغم من أن الوقت كان الشهر الفضيل، وإلى أبعد من ذلك فقد خاطرت بنفسها في حظر التجول لتذهب وتشتري البخاخ والدواء والمسكن لجنوبي. بقي عندها وعند ابنها محمد اليساري عالم الأنثروبولوجيا حتى تمكن من الهرب إلى قرية «كفريوبا».

◆ شخصية الضابط المحقق «أبو علاء»

أشرف على التحقيق معه، وضره، ولكن بعد مضي خمسة وعشرين عاماً اتصل بالبطل يستسمحه قبل الذهاب لأداء فريضة الحج، «بعد ذلك بحوالي 25 عاماً هاتفك الضابط المحقق «أبو علاء» الذي أشرف على التحقيق معك وعلى ضريك، قال لك: «أنا ذاهب إلى الحج! أريد منك أن تسامحني! قلت له: أنا مسامحك» (جنوبي: ص57)

◆ شخصية الحبيبة سلمى

فتاة فلسطينية تعمل بوظيفة حكومية، كانت تحب البطل حبا صادقا في مرحلة الماجستير، كانت تهتم به، ويقلقها أمره «هل تتذكر عندما كنت معتقلاً لمدة أسبوع 1989 تمزقت فيها وبحثت عنك في كل الوجوه، وسكنني ألم ومرارة.. احترقت روحي! .. يبدو أن جراح الروح لا تنسى لأنها مستحصية على الشفاء» (جنوبي: ص59).

◆ شخصية الزوجة

امرأة محبة مخلصه له، وفيّة طيبة، هادئة صابرة، بقوله: «تؤمن بعد كل هذا العمر أنها صبرت عليك لأنها امتزجت بروحك، ورأت فيك ذاتها رغم البعد بين الشخصيتين، هي الهادئة وأنت المتوثب دوماً للنقاش والجدال، هي الطيعة وأنت العصبى... هي الطيبة وأنت تحاول حد الثمالة أن تكون بمستواها وترد لها بعض وفائها» (جنوبي: ص76).

◆ شخصية صديقه فهد

صديق نصوح، عالم بحال البطل وصراعه بين متناقضين، وعالم بالكفة الراجحة في داخله، بقوله «ألم يحذرك صديقك فهد عندما قرأ لك نصاً يتعلق بالحنين إلى ماضي العمل السياسي؛ وقال لك: هذا هو أنت وليس جنوبي، الذي هو جزء من السلطة» (جنوبي: ص93).

جانِب فهم الروابط مع الآخرين والماضي والمستقبل والمطلق، أي أن الهوية تقدّم من تلك الكيفية الخاصة للتموضع داخل الفضاء الثقافي» (ص33).

ويرى ريكور أن الذات السردية تتموضع (تاريخياً وحكيًا) في صيغ الاعتراف والاعتراف المتبادل بين الفرد والمجموعة، بين الشخصي والجمعي، وبمجازات حية تتعالق فيها مجمل الذات حتى وإن تخالفت أو تباعدت لما في مثل هكذا أفق من إمكانات للتواصل تأثيراً وتأثيراً لكل ما يؤثّر «الهوية» من لوازم ضرورية في تحديدها والتقاءها ببقية الهويات الراهنة في فضاء فعلها» (2009، ص122)، ويرى ريكور أيضاً «أن السرد مكوّن للهوية ومشكّل بصياغات تحببكية جامعة للمتأثر منها، ويرى أن التجربة الإنسانية قائمة في الزمن، وبالزمن ومصاغة من حبكة سردية تعطيلها حركة وتهبها الحياة بعد أن فاتت وانقضت» (ص124، 125)، ويختصر ريكور الهوية السردية بقوله «أنا ما أحكي، أنا ما أسرد عن نفسي» (ص35).

واستناداً لقول ريكور واختصاره يمكن القول إن سيرة «جنوبي» هي سيرة الروائي رمضان الرواشدة ذاته. إذ نجح الروائي رمضان الرواشدة في استنطاقه مرحلة تاريخية وتصوير الواقع من خلال تقديم صورة واضحة للأبعاد التاريخية والواقعية والنفسية والأيدولوجية للذات السردية، فقد تراوحت الأحداث في الرواية من ستينيات القرن الماضي إلى واقعنا اليوم.

والسؤال الذي يطرح نفسه في الرؤية السردية، هو ما موقع الراوي من الشخصيات في الرواية؟ كان الراوي في «جنوبي» يتمتع بالرؤية السردية المصاحبة، أي أنه جاء مشاركاً في السرد وجزءاً منه تارة، وجاء شاهداً على سير الأحداث تارة أخرى، فقد كان يملك معرفة مساوية للشخصية الحكائية.

ولما كان الراوي يعلم علم الشخصية الحكائية، لم مال الروائي إلى المراوحة بينهما؟ هل توظيف الخطاب إرضاء لغاية في نفسه؟ هل الروائي يتوارى خلف المخاطب؟ ولا سيما في الجزء الأخير فقد غاب ضمير الأنا غياباً كلياً. وقد عنونه «أه منكم أيها المثقفون الأوغاد!» فهل الروائي يتوجع على ذاته وما آل إليها باسم الجميع؟ والقارئ يلحظ أن الروائي يجلد ذاته أكثر من مرة، يقول: «يا الله كم تغيرت يا جنوبي! ملعونة هي السلطة، فهي محرقة لكل الطيبين من الأنقياء مثلك!.. وهي مثل الفانوس أو «الشمير»، كما يسمونه في بلدتك الجنوبية، يحرق الفراشات التي تقترب منه: وأنت رغم أنك لم تحترق لأنك بقيت على مسافة مع كل الناس، إلا أنك جزء من السلطة!» (ص. 92)، وفي موضع آخر: «أتمنى يا جنوبي أن تؤوب من رحلتك غير الممتعة في أحضان السلطة إلى وضعك الطبيعي: كمتقف مناهض لتغول السلطة على الناس»، ويقول صراحة: «أنت الآن تعاني الشيزوفرينيا، بين الحنين إلى أيام المعارضة والواقع الذي تعيشه، متمتعاً بفضلات ما تقدّمه لك الدولة بعد أن أصبحت جزءاً منها، وتنتق باسمها!..»، هل النهاية التي أنهى بها الروائي، الصوت الصادق الذي يحدث الراوي، متلائمة مع المقولة التي تضمنها في بداية الرواية «إن كنت دون الثلاثين ولم تكن ثورياً فأنت لا قلب لك، وإذا أنت أصبحت بعد الثلاثين وما زلت ثورياً فأنت لا عقل لك» (ص. 22) هل هو يبرر لنفسه المآل الذي آل إليه؟ ويواسي نفسه ويقدم لها العزاء؟

جنوبي»، أمّا الرابع «أه منكم أيها المثقفون الأوغاد».

والقارئ يلحظ أن القول في هذه الأجزاء عبارة عن مروى لمجمل السيرة، يتسم بالسرعة والتلميح، والتداخل، في تدفق لذاكرة تقف بعد لأي من الزمن أمام طفولتها التي لا تحمل من الطفولة إلا الاسم، وماضيها الثائر، وتستحضرهما لتستجلي حقيقة ما زالت في حاضرهما، بحاجة إلى جلاء.

والقارئ يلحظ تداخل الضمائر والأفعال في السرد، فالراوي يسرد بضمير المتكلم (الأنا) تارة، وبضمير المخاطب (أنت) تارة أخرى، ومن الأمثلة على ضمير المتكلم (الأنا) قوله: «لم يكن لي بيت أنام فيه، وكنت أنا عند أصدقائي من أبناء الجنوب غير المعروفين» (ص. 38)، وفي موضع آخر يقول: «لم أدر أنها حيلة، وخشيت على أختي، فجمعت أمتعتي وكتبي وعدت معهم من إربد إلى عمان» (ص. 39)، وقوله: «وحزنت المرتبة الثانية على 200 متقدم في اللغة الإنجليزية والتحرير، لأفاجأ برفض تعييني لأسباب أمنية!... عندها قررت أن أتوجه صوب الدراسة العليا، فسجلت في ماجستير الفلسفة» (ص. 40)، وأيضاً «اختباننا ليلتين، وفي الليلة التي تسبق المظاهرات أعدنا اللفاتات والبيان الذي كنت سألقيه» (ص. 41)، وقوله: «كان لي صديق اسمه رائد، مسيحي من الكرك» (ص. 35). وأيضاً «لقد تغيرت الدنيا، النظام تغير، ونحن كذلك تغيرنا! أنا لا أحمل حقداً على أحد، لقد كانت تجربة واستفدت منها دروساً عظيمة» (جنوبي: 57)، أمّا ضمير المخاطب فقد جاء بقوله:

«إن كنت دون الثلاثين ولم تكن ثورياً فأنت لا قلب لك، وإذا أنت أصبحت بعد الثلاثين وما زلت ثورياً فأنت لا عقل لك!» (ص. 22)، وقوله: «أنت الآن فدائي» تقاوت في خلدا في بيروت» (ص. 49)، وقوله: «أنت تحن إلى جامعة اليرموك» (ص. 54)، وأيضاً «وأنت منهم: لقد استطاعوا استيعابك» (جنوبي، 92).

ولكن القارئ المدقق يلحظ تداخل الضمائر في الأجزاء الثلاثة الأولى للرواية، أمّا الجزء الرابع والأخير فإنه يخلو خلواً تاماً من ضمير المتكلم، وتوظيف ضمير المخاطب، قوله: «وأنت منهم، وأنت تعاني الآن من، أتمنى عليك يا جنوبي، ألم يحذرك صديقك» (جنوبي، ص. 92، 93)، والقارئ يتساءل لماذا أنكر الروائي وتجاهل ضمير الأنا الذي سيطر سيطرة واضحة في الفصول المتقدمة؟

يبرز من هذا الترتيب لأجزاء الرواية: البنية الخارجية، والضمائر؛ البنية الداخلية منحيان سرديان في تداخلهما، المنحى الأول له طابع الرواية (القصة) ويشير إليه الروائي بضمير المخاطب، والمنحى الثاني له طابع السيرة (الذات) ويشير إليه الروائي بضمير المتكلم.

فقد جاءت الرؤية السردية داخلية، وتوضح أمانة يوسف المقصود بالرؤية الداخلية «الرؤية التي يظهر فيها الراوي محدود العلم، أو الراوي المشارك، الذي تتساوى معرفته بمعرفة الشخصيات الروائية، وهي رؤية تنطلق من أسلوب السرد الذاتي» (ص. 2015، 48)

وللنظر والتحليل في الهوية السردية استندت الباحثة إلى أعمال بول ريكور، ولا سيما الهوية والسرد. عرّف ريكور الهوية انطولوجياً الذات وأكد أنه «لا يمكن أن نفهم زخم الهوية الإنسانية بألية فهم أحادية بل بضرب جديد من فهم وتأويل المشاعر إلى

نتائج الدراسة

ولمّا كان ضمير الأنا الأكثر التصاقاً بالشخصية الروائية، وضمير المخاطب (أنت) حاضراً في المشاهد الحوارية، الأمر الذي كشف أنّ الرواية سيرة ذاتية للروائي. فقد تجسدت الهوية الذاتية من خلال جملة من العلاقات والروابط العقلية نسجت بتطور تاريخي محدد في الزمان والمكان.

المصادر والمراجع العربية

- الإدريسي، يوسف. (2015). عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- باشلار، غاستون. (1984). جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ط2، بيروت: المؤسسة الجامعية.
- بحراوي، حسن. (1990). بنية الشكل الروائي، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- بلعابد، عبد الحق. (2008). عتبات جرار جينيت من النص إلى المناص، تقديم سعيد يقطين، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف.
- جنيت، جيرار. (1997). خطاب الحكاية بحث في المنهج، ترجمة محمد معتمد، وعبد الجليل الأزدي، عمر حلي، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة للطباعة الأميرية.
- جنيت جيرار، واين بوث وآخرون. (1989). نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، ط1، البيضاء: دار الخطاب للنشر والتوزيع.
- جيرالد، برنس. (2003). المصطلح السرد، ط1، ت: عابد خزندان، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- الرواشدة، رمضان. (2019). جنوبي، ط1، عمان: دار الشروق.
- زيتوني، لطيف. (2002). معجم مصطلحات نقد الرواية، ط1، دار النهار للنشر.
- فورستور. (1994). أركان الرواية، ترجمة/ موسى عاصي، ط1، جروس برس، طرابلس، لبنان.
- الفيصل، سمر روجي. (2012). بناء الرواية، دراسة بنيوية شكلية، دار الثقافة للنشر والإعلام، ط1.
- قاسم، سيزا. (1978). بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مهرجان القراءة للجميع، سلسلة إبداع امرأة.
- القصراري، مها حسن. (2004). الزمن في الرواية العربية، ط1، بيروت: المؤسسة العامة للدراسات والنشر.
- حميداني، حميد. (1991). بنية النص السرد (من منظور النقد الأدبي)، ط1، بيروت: الدار البيضاء - المركز الثقافي العربي.
- مراشدة، عبد الرحيم. (2002). الفضاء الروائي الرواية الأردنية نموذجاً، (د.ط)، المملكة الأردنية الهاشمية - وزارة الثقافة.
- مرتاض، عبد الملك. (1998). في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، الكويت: عالم المعرفة.
- الورفلي، حاتم. (2009). بول ريكور الهوية والسرد، بيروت: دار التنوير.
- يوسف، آمنة. (2015). تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط2، الأردن: دار الفارس.

1. حملت الرواية اسم «جنوبي»، وهو عنوان مبهم غامض، لم يتضح إلا بعد قراءة الصفحات الأولى من بنية الرواية، التي يوضّح الروائي أنه يسرد حياة بطل يدعى «جنوبي بن سمعان».

2. لم تكن بنية الزمن السرد في رواية جنوبي متتابعة، بل جاء الزمن متشظياً؛ إذ تداخلت الأزمنة في الرواية، إلا أنّ زمن الخطاب ظلّ يسير إلى الأمام حتى وصلت الرواية إلى نهايتها.

3. تفاوتت فصول الرواية في توظيف الزمن، فبعضها حرص على تبطيء الزمن للوقوف على المكان، وفي بعضها الآخر كان الاهتمام بتلخيص الأحداث وتسريع الزمن من أجل عرض أكبر قدر من الأحداث في صفحات سيرته.

4. إنّ الاسترجاع والاستشراق الزمني يعدّان عصب المفارقة الزمنية في الخطاب الروائي، فمن حاضر السرد يتم الرجوع إلى الخلف في حركة استرجاعية عبر الذاكرة والذكريات، فرواية «جنوبي» قائمة على استرجاع أحداث مضت وانقضت، وقد امتدّ الاسترجاع إلى الحيز الأكبر من السرد باعتباره ينير الماضي، ويأخذ صفحات طويلة من الرواية، ويمنحه استمرارية الحضور.

5. انطلقت الرواية من حي الهاشمي من عمان، وتنقل الروائي بالقارئ إلى عدة أماكن تراوحت بين الأماكن المفتوحة: معان وإربد والجامعة، والسجن جاء مثلاً على المكان المغلق.

6. كانت المرحلة والبيئة الجامعية الأكثر أثراً في حياة البطل جنوبي، حيث شكلت أفكاره وصقلت شخصيته السياسية المعارضة. 7. حفلت الرواية بالعديد من الشخصيات، ولكن شخصية جنوبي بن سمعان الشخصية الرئيسة الأساسية المعقدة التي دارت حولها أحداث الرواية، ومن خلالها شاهدنا الشخصيات الأخرى في الفضاء الروائي.

8. الرؤية السردية في الرواية داخلية، فقد تمازج من داخل الرواية ضميران، ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، وقد كشفتنا معاً عن ترابط منحيان سرديان: منحى بطابع القصة ومنحى بطابع السيرة الروائية.

9. يسيطر ضمير المتكلم على الرواية، محاولاً الروائي إقناعنا بواقعية ما مرّ به من أحداث وشخصيات وأمكنة وأزمنة.

تعالج الرواية قضية ساخنة وهي قضية المواولة التامة للسلطة بعد المعارضة الثورية العنيفة، وقد قدّم الروائي مقدمات افتتاحية متمحورة حول الغربية، وفي خضمّ استنطاقه للحاضر والماضي يحاور الروائي ذاته، ويجلدها، فهل ذلك يدلّ أنّ صوته الثائر مازال حياً؟

الخاتمة

عكست الرواية في بنيتها السردية أحداث التجربة الشخصية التي مرّ بها البطل جنوبي، وانتقاله وتنقله مع عائلته من إربد إلى معان إلى عمان، سيطرت تقنية الاسترجاع على بنية الرواية سيطرة شبه تامة، وقد دارت أحداثها في ستينيات القرن الماضي وسبعينياته وثمانينياته.

المصادر والمراجع العربية مترجمة إلى اللغة الإنجليزية

- Al Idrisi, Yousuf.(2015). 'Atabat Annass fi Atturath al Arabi wal Khitab Annaqdi al Mu'aaser, 1st edition, Beirut –Addar Al'arabiyyah li Al'uloom -Publishers.
- Bachelard, Gaston. (1984). *Jamaliyyat al Makan*, Translated by: Ghaleb Halaseh, 2nd edition, Beirut - University Corporation.
- Bahrawi, Hasan.(1990). *Bunyat Ashshakl Arruwa'i*, 1st edition, Arab Cultural Center, Beirut.
- Bal'abed Abdel -Haq .(2008). 'Atabat Jerard Jenette min Annass 'ila al Manass, Presented by Said Yaqteen, 1st edition, Algeria-Ikhtilaf Publications.
- Jenette, Jerard .(1997). *Khitab al Hikaya, Bahth fi al Manhaj*, Translated by: Mohammad Mu'tasem & Abdul Jaleel Al Azdik Omar Hala, 2nd edition, Supreme Council for Culture, General Authority for Emiri Press.
- Jenette Jerard, Wayn Booth & others .(1989). *Nathariyyat Assard min Wijhat Annathar 'ila Attab'eer*, 1st edition, Albaydha' - Al Khatabi for Publishing and Distribution
- Gerald Prince .(2003). *Al Mustalah Assardi*, 1st edition, Translated by: Abed Khuzundar, Supreme Council for Culture, Cairo.
- Arrawashdeh, Ramadan.(2019). *Janoubi(From the South)*, 1st edition, Amman- Asshurooq Publication House.
- Zaytooni, Latif(2002). . *Mu'jam Mustalahat Naqd Arriwaya*, 1st edition, An -Nahar Publishing House
- Fortstor .(1994). *Arkan Arriwaya*, Translated by: Mousa Assi, 1st edition, Gross Baras, Tripoli, Lebanon.
- Al Faysal, Samar Rouhi.(2012)., *Bina' Arriwaya, Dirasa Bunyawiyya Shakliyya*, Culture House for Publishing and Media, 1st edition.
- Qasem Siza. (1978)., *Bina' Arriwaya, Dirasa Muqarana fi Thulathiyat Najeeb Mahfouz*, Reading for All Festival, Woman's Creativity Series.
- Al Qasrawi, Maha Hasan.(2004). *Azzaman fi Arriwaya al Arabiyya*, 1st edition, General Corporation for Studies and Publishing, Beirut.
- Al Hmeidany, Hameed.(1991). *Bunyat Annass al Adabi (Min Manthour Annaqd al Adabi)*, 1st edition, Beirut/ White House- Arab Cultural Center.
- Marashdeh, Abdul Raheem.(2002). *Alfadha' Arriwa'i: Arriwaya al 'Urduniyya Annamoothajan*, 2nd edition, the Hashemite Kingdom of Jordan- Ministry of Culture .
- Murtadh, Abdul Malik .(1998). *Fi Nathariyyat Arriwaya, Bahth fi Taqniyat Assard*, Kuwait - Knowledge World.
- Al Warfaly, Hatem .(2009). *Paul Richor, Al Hawiyya Wassard*, Beirut- Attanweer House.
- Yousuf, Amneh .(2015). *Taqniyat Assard fi Annathariyya Wattatbeeq*, 2nd edition, Alfares House.